

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم

الأستاذ محمد مقدم
المركز الجامعي - غليزان



والدعوة إلى الله وتعريف الناس بالإسلام مسؤولية كبيرة يجب القيام بها امتثالاً للأوامر الإلهية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣، وهي أمانة ثقيلة لا يقوى عليها إلا من حظي بقسط وافر من التربية يؤهله لتحمل المسؤولية وحسن التعامل مع حوله حين يدعوهم.

وحتى يستطيع دعاة الإصلاح من أئمة ومربين ومعلمين القيام بهذه المهمة

لقد عجزت النظم البشرية الموجودة على الساحة عن علاج حالة الاضطراب والفساد التي وصلت إليها المجتمعات البشرية، ولا دواء لهذا إلا بالإسلام الذي جاء لتربية الأفراد على المبادئ والقيم الإسلامية الكفيلة بإصلاح هذه المجتمعات، والتربية ورغم ما فيها من مشاق طول مراحلها إلا أنها الطريق الوحيد للإصلاح، كما أن الفتن الموجودة في هذا العصر لا يقدر على صدها إلا من تربى تربية تحميه من الانزلاق والانحراف الفكري والسلوكي.

والزيادة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمَحُوقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: ٢٧٦، ﴿وَنَرَى
الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
بِهَيْجٍ﴾ الحج: ٥.

الأصل الثاني: ربى يربي على وزن
خفى يخفي، وتكون التربية بمعنى
التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى:
﴿قَالَ أَلَمْ نُنْزِلْكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِئْنَا مِنْ
عَمْرِكَ سِنَّينَ﴾ الشعراء: ١٨، ﴿وَأَخْفَضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْزِلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤.

وعليه قول الأعرابي:

فمن سئل عني فإني

بمكة منزلي وبها ربيت

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مد
يمد بمعنى أصلحه، وتولى أمره وساسه
وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى:
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

الثقيلة عليهم اتباع المنهج النبوي الذي
تمكن خلال فترة وجيزة من تحويل
المجتمع الجاهلي إلى مجتمع سادت
فيه القيم الإسلامية النبيلة، ولقد جاء
الرسول صلى الله عليه وسلم بمنهج
تربوي شامل كامل، تظهر فيه العناية
الإلهية والتربية الربانية للنبي صلى الله
عليه وسلم وكما قال الرسول صلى
الله عليه وسلم: (أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ
تَأْدِيبِي)، فكان له من الصفات النفسية
والخلقية والعقلية ما أهله بأن يوصف
بما وصفه الله به في كتابه: ﴿وَلَئِنْكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

ولكن قبل أن نتعرف على أسس
ومعالم التربية النبوية نقدم بين يدي
هذا الموضوع تعريفات عن التربية
النبوية وماذا نعني بها.

التربية في اللغة: إذا رجعا إلى
معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة
التربية أصولا لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد
ونما، فتكون التربية هنا بمعنى النمو

بناء متكاملًا متوازنًا متطورًا من جميع الوجوه جسميا وعقليا واجتماعيا وخلقيا وجماديا وإنسانيا، كما يكون هذا الإنسان بشخصه لبنة حية فعالة في بناء مجتمعه".

وقال آخرون في تعريف التربية: "إنها تلك الجهود التي يبذلها المربون في تربية الأمة على منهج الله تعالى المتمثل في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم".

ويمكن القول بصفة عامة إن التربية هي: "عملية يقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملا كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها وتكون التربية للفرد والمجتمع.

ويتميز مفهوم التربية الإسلامية في الإسلام عن غيره من مفاهيم التربية بما يلي:

هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ٣١﴾ وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿المائدة: ١١٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿آل عمران: ٤٨﴾.

التربية اصطلاحاً: تختلف الآراء

في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن كما قد تختلف نظرة المتخصصين، وقد وردت تعاريف كثيرة للتربية من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسانيين، ولكن لا تخرج تعاريفهم بأي حال من الأحوال عن المعنى اللغوي للكلمة.

قال الإمام البيضاوي (ت685): "الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة".

وقال الراغب الأصفهاني (ت502): "الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حد التمام".

وعرفها البعض: بأنها "بناء الإنسان

ويظهر أثر التربية الربانية في تصرفات الصحابة فهذا أبو لبابة عندما شعر أنه خان الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأل بنو قريظة هل ننزل على حكم محمد فأشار إلى حلقه كأنه يقول لهم إنه الذبيح، فأحس بعدها بأنه خان أمانة الرسول فربط نفسه بعمود المسجد حتى يتوب الله عليه، فبإيمانه وتربيته حكم على نفسه بهذه العقوبة.

ثانيا: شاملة متكاملة متوازنة:

فهي نابعة من تكامل منهج الإسلام الذي يتناول الجوانب اللازمة لصالح الدنيا والآخرة بشكل متكامل متوازن لا تميل إلى جانب على حساب جانب، ولا تبلغ في أمر دون آخر، فتعطي كل ذي حق حقه، وهو شامل لأنه يلمس نفسيات ومشاعر وحاجات النفس البشرية، لأنه عقيدة وعبادة وثقافة وقانون وخلق واجتهاد وعلم وقوة ورحمة.

ثالثا: متدرجة: التربية عن سلسلة

من المراحل التربوية في البناء، فمن

- التربية الإسلامية تستمد أهدافها ومنهجها وأساليبها ووسائلها من مصادر الشريعة الإسلامية،

- التربية الإسلامية لا تربى الإنسان لهذه الحياة الدنيا فقط بل تربيته للدنيا والآخرة،

- التربية الإسلامية تركز على الجانبين المادي والروحي في الإنسان وتراعي في ذلك الشمول والتكامل".

خصائص التربية: ولأجل هذا

فإن التربية الإسلامية تتميز بجملة من الخصائص يمكن أن نجملها في ما يلي:

أولا: إلهية ربانية: فهي ربانية

المصدر بمعنى أنها تتلقى أوامرها من الله، وربانية الوجهة بمعنى أنها تبتغي بكل عمل وجه الله، فالجانب الإيماني أو الرباني من أهم جوانب التربية، لأن هدفها تكوين الفرد المؤمن وعمادها القلب الموصول بالله الموقن بلقائه، والراجي لرحمته الخائف من عقابه.

الفردية ونقبل ظهور طاقات جديدة،
ونتخير الأسلوب الأمثل في التعامل
الذي يناسب كل عصر ومكان بما لا
يتعارض مع أية قاعدة شرعية.

إن تلك الخصائص تعطينا دلالة
قاطعة على ربانية التعاليم النبوية وأن
التربية النبوية لا بد أنها تستقي من
مشكاة الوحي، وأن تلتزم في صغيرها
وكبيرها بتعاليم السماء، وبأوامر من
أحاط بكل شيء خبراً.

مصادر التربية النبوية: لأجل
ذلك فإن مصادر التربية النبوية تتنوع
إلى مصدرين أساسيين هما:

أولاً: القرآن الكريم: لقد كان
للقرآن الكريم أثر كبير وواضح في
تربية الرسول صلى الله عليه وسلم
وصحابته الكرام، فنالوا به الشرف
العظيم، والمنزلة الرفيعة التي جعلتهم
قادة للبشر وحولتهم إلى زعماء للأمم،
وما ذلك إلا لشدة تعلقهم وعظيم
تأثرهم -رضوان الله عليهم- بالقرآن
الكريم، وحرصهم على الالتزام

استعجل الشيء قبل أوانه عوقب
بحرمانه، ولقد ضرب لنا الرسول صلى
الله عليه وسلم مثلاً في أسلوب التربية
المتدرجة مع الشاب الذي جاءه يستأذنه
في الزنا، وهذا التدرج يبدأ بالفرد
المسلم، فالبيت المسلم فالمجتمع
المسلم، فيكون التغيير جذرياً متدرجاً
لا فوقياً مستعجلاً.

رابعاً: حركية: التربية الحركية
تجعل الفرد منا يتحرك بإيجابية ليصلح
المجتمع، فالعملية التربوية لا نستطيع
أن نحكم على نجاحها من خلال تحرك
المربي وما يحدثه من أثر إيجابي في
المجتمع دون أن يتأثر هو بالمؤثرات
السلبية الموجودة.

خامساً: مستمرة: التربية ليس
لها سقف، ولا يستطيع أحد أن يدعي
أنه فوق العملية التربوية، فهي مستمرة
مدى الحياة مع الإنسان.

سادساً: مثالية واقعية: لا بد أن
نراعي متطلبات النفس من أحاسيس
ومشاعر وخصائص، ولا نهمل الفروق

النبيلة، وتعاليمها الربانية، وتوجيهاتها السديدة التي تكفل إعداد الإنسان المسلم الصالح في كل جوانب حياته، وإقامة المجتمع المسلم المثالي في كل شأن من شؤونه، وكل جزئية من جزئياته "فهي لا تقتصر على المسجد أو المعهد، ولا تختص بالعبادة دون السلوك، أو تهتم بالفرد وتترك المجتمع، أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل، إنما تشمل كل جوانب النفس، وتهمل في كل ميادين الحياة وعلى أساس هذا الشمول يقوم منهج القرآن في التربية".

ثانيا :السنة النبوية المطهرة:

هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي لكونها جاءت وحيا من الله تعالى، أجراه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ النجم: ٣ - ٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧.

بمنهجه، والتخلق بأخلاقه، والعمل بأوامره، والبعد عن نواهيه.

ولهذا فليس غريبا أن يكون "للقرآن الكريم وقع عظيم، وأثر بالغ في نفوس المسلمين، حتى أنه شغلهم عن الشعر، وكانوا من أشد الناس تعلقا به، وعن الحكم والكهانة، وأخبار الفروسية، وأخبار العرب في جاهليتهم".

لهذا ليس غريبا أن يكون القرآن المصدر الأول والرئيسي للتربية الإسلامية، والمحور الذي تتمركز حوله العملية التربوية عند المسلمين، فقد قال الله تعالى في شأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩. وقال سبحانه وتعالى في وصفه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢.

فكان لابد للتربية الإسلامية أن تستمد منه أسسها الراسخة، وأهدافها السامية، ومبادئها الخالدة، وقيمها

اتباعه والتأسي به جزءاً أساسياً من التكليف الإلهي المتكامل الوارد في الكتاب والسنة، سواء أثناء بعثته أو بعد موته، وإلى يوم القيامة... وهو المثال الذي ينبغي أن يحتذى في كل ما ثبت أنه فعله، أو قاله، أو قرره، دون أن يطمح أحد في بلوغ مرتبته سواء في الأداء، أو في الإحساس أو في الثواب".

وعلى الرغم من أن للسنة النبوية وظائف كثيرة ومنافع عظيمة في حياة الفرد والجماعة، إلا أن من أبرز وظائفها العمل على إيضاح وبيان وتفسير ما جاء في آيات القرآن الكريم من أحكام وتشريعات في مختلف المجالات والميادين، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ النحل: ٤٤، إضافة إلى السنة النبوية مجال واسع وخصب لاستنباط التشريعات، والآداب، والضوابط، والدروس والتوجيهات التي يحتاج إليها الناس في المواقف والأحوال المختلفة.

والسنة في اللغة العربية تعني الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية، وفي الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا جواب".

وقد تعرف السنة بأنها "ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير".

والمعنى أن السنة في المجال التربوي تعني الطريقة، أو الأسلوب، أو المنهاج التفصيلي، أو الكيفية التي تبين وتفضل كل جزئية في حياة الإنسان والمجتمع المسلم.

وحيث إن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم تمثل وتجسد تعاليم وتربية الإسلام قولاً وأداءً وتعاملاً في مختلف شؤون حياته من عبادات ومعاملات، سواء كان ذلك الأداء قولياً، أو فعلياً، أو موافقة من صلى الله عليه وسلم لما صدر عن بعض أصحابه رضوان الله عليهم من الأقوال أو الأفعال، فإن هذا يعني أنه صلى الله عليه وسلم بمثابة المثال الإنساني المتفرد، الذي يعتبر

٢، وهذا يعني أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم هي الشخصية الوحيدة التي ينبغي للمسلم أن يقتدي بها في أي زمان ومكان. وأن يعتبرها الأسوة الحسنة له في كل شأنه، والمثل الأعلى الوحيد له في حياته، تنفيذا لقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولأن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، هي الشخصية الإنسانية المثالية التي يجد فيها الإنسان "مربيا عظيما" ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم، يراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه من يحب المكانة لأنه في قومه ذو مكانه،

وهذا يعني أن "اللغة النبوية في المجال التربوي فائدتين عظيمتين:

أ- إيضاح المنهج النبوي التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم.

ب- استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ومعاملاته الأولاد، وغرسه الإيمان في النفوس".

ويأتي استنباط المنهج التربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على اعتبار أن المربي والمعلم والقادة الذي اصطفاه الله تعالى من عباده لأداء رسالته إليهم، وتبليغهم إياها قولاً وعملاً، ومن ثم تربيتهم وتعليمهم في ضوءها تربية إسلامية صحيحة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال جل من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:

عن المنهج النبوي في التربية.

لماذا المنهج النبوي في التربية:

إن نهوض الأمة ورفقها معقود بمدى صحة التعليم وجودة التربية، والمناهج الأرضية وطرائق البشر مهما أوتيت من قوة واجتمع لديها من خبرة فإنها تقف عاجزة عن تحقيق الكمالات، وعن التناغم مع الفطرة السوية، والسبب هو أن هذه المناهج لا تخلو من هوى بشري جهول، أو نظرة ضيقة محدودة مع ضعف في الشعور الداخلي الصادق المراقبة الذي بلا شك مؤثر كبير على سير العمل التعليمي والتربوي، ولذا فإن من المهم والمهم جدا إدامة النظر والتأمل في الأساليب النبوية في التربية والتعليم وذلك لأمر:

أولا: أن الله بعث نبيه محمدا صلى

الله عليه وسلم معلما ومزكيا، ومبشرا ونذيرا ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة: ٢، فعن جابر بن عبد

ومن خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو".

ومن ذلك كله، يمكن القول: إن

السنة النبوية المطهرة بما ثبت فيها من أقوال وأفعال، وتقارير نبوية كريمة تعد مصدرا رئيسا من مصادر التربية الإسلامية، لكونها المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، ولأنها بمثابة الجانب التطبيقي أو الميداني لما جاء في القرآن الكريم من أصول، ومبادئ، ومفاهيم تربوية رئيسة، ولكون شخصية النبي صلى الله عليه وسلم تعد بحق خير نموذج بشري فردي لهذا التطبيق، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أفضل نموذج بشري مجتمعي لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني وبعد تعرفنا على مصادر التربية النبوية يحسن بنا أن نتطرق إلى الغاية من البحث والتفتيش

ثالثاً: لأن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمرّ بها معلم أو مرب في أي زمان ومكان فما من حالة يمرّ بها المربي أو المعلم إلا ويجدها نفسها أو مثلها أو شبهها أو قريباً منها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم الفقر والغنى، والأمن والخوف، والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، عاش اليتيم والعزوبة والزوجية والأبوة... فكان يتعامل مع كل مرحلة وكل حالة بما يناسبها.

لقد ساس النبي صلى الله عليه وسلم العرب ودعاهم وعلمهم وأحسن تربيتهم، مع قسوة قلوبهم وخشونة أخلاقهم، وجفاء طباعهم وتنافر أمزجتهم، لقد كان حال العرب كما وصفهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: (كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا

الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً).

فالحكمة من بعث النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم الناس، ولذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها تربية وتعليم، مما يجعلها غنية جداً بالأساليب التربوية والتعليمية.

ثانياً: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي الكمال البشري، وعصم من الخطأ الذي يقدح في تبليغه للدعوة "فأي عاقل حريص على مرضاة ربه يخير بين الاقتداء بالمعصوم، الذي يكفل له السير على صراط الله المستقيم، وبين الاقتداء بما لا يؤمن عثاره، ولا تضمن استقامته على الحق ونجاته..."، لقد أعطي النبي صلى الله عليه وسلم مع أميته علماً لا يدانيه فيه أحد من البشر صلى الله عليه وسلم ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ النساء: ١١٣.

الضعيف...).

فاحتمل النبي صلى الله عليه ما فيهم من جفاء، وصبر منهم على الأذى، حتى كانوا خير أمة بعد أن لم يكن لهم قيمة ولا وزن .

إن الذي ينظر إلى الجاهلية قبل الإسلام، وكيف أنها كانت تعيش انتكاسة في الفطرة والعقيدة والأخلاق، ليرى كم هو الدور الكبير الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أحدثت نقلة ضخمة في زمن قياسي.

يقول "كارليل" وهو يقارن بين حال العرب قبل البعثة وبعدها: "هم قوم يضربون في الصحراء، لا يؤبه لهم عدة قرون، فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرافان، وكثروا بعد القلة، وعزوا بعد الذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم".

رابعاً: وجود دعوات كثيرة كانت ولا زالت تنادي بضرورة نقل أساليب

التعليم والتربية من مناطق متفرقة، ما في ذلك من تأثير على الثوابت وعناصر الهوية، إننا قد نستفيد منهم في بعض الوسائل والطرائق في توصيل المعلومات مثلاً والتي اعتمدوا فيها على تجارب ودراسات وجهود مضيئة وافقوا فيها الصواب في أحيان كثيرة لكن دون أن نأخذ ما نزاحم به ثوابتنا وقيمنا فلا يصح أن نختلف في رده والوقوف أمامه.

الأساليب التربوية عند رسول البشرية: لقد حفظت لنا كتب السير جوانب عديدة يصعب حصرها، عن تلك العقلية الفذة التي تحلى بها سيد البشر في التعامل مع خلق الله جميعهم دون استثناء وإن صفحات قليلة وكلمات معدودة لا تفي بحق البيان الحقيقي لجوانب هذه الشخصية، ولكن سأحاول تسليط الضوء على بعض الأساليب النبوية في مجال التربية والتعليم. فمن بين تلك الأساليب النبوية ما يلي:

فقعد وهو محمر وجهه فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك دينه، ويضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله).

وحفظت لنا السنة النبوية العديد من المواقف التي يحكي فيها النبي صلى الله عليه وسلم قصة من القصص، فمن ذلك قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وقصة الذي قتل مائة نفس، وقصة الأعمى والأبرص والأقرع، وقصة أصحاب الأخدود... وغيرها كثير.

1- التريية بالموعظة:

أثرها البالغ في النفوس، لذا فلم يكن المربي الأول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله فقد كان كما وصفه أحد أصحابه وهو ابن مسعود رضي الله عنه: "كان

1- التريية بالقصة:

إن القصة أمر محبوب للناس، وتترك أثرها في النفوس، ومن هنا جاءت القصة كثيرا في القرآن، وأخبرنا تبارك وتعالى عن شأن كتابه فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يوسف: ٣، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يوسف: ١١١ وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ﴿فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦، ولهذا فقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج واستخدم هذا الأسلوب.

فهذا خباب بن الأرت رضي الله عنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ به الأذى والشدة كل مبلغ فيأتي للنبي صلى الله عليه وسلم شاكيا له ما أصابه فيقول رضي الله عنه: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة: فقلت ألا تدعو الله؟

رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال: "أما إنه يمنعي من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السامة علينا".

3- الرفق والرحمة وحسن الثاني:

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩.

لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الرفق سببا من أسباب الكمال والنجاح، فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه). وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حرم الرفق حرم الخير).

على هذه القاعدة العظيمة في التعامل "الرفق والرحمة" كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا".

ويحكي أحد أصحابه وهو العرباض بن سارية رضي الله عنه عن موعظة وعظها إياهم النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، إنه من يعيش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ). وحتى تترك الموعظة أثرها ينبغي أن تكون تخولا، وألا تكون بصفة دائمة.

وعن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له

فوالله ما نهزني ولا ضربني، و لا شتمني، قال: (إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن).

وعن أنس رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي، فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه"، وفي رواية: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن).

إن التعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تفهم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف بخلاف ما لو صحب ذلك نوع من التوتر.

الجمع بين الترغيب والترهيب:

النفوس البشرية فيها إقبال وإدبار، وفيها شره وفترة، ومن ثم كان المنهج التربوي

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها...). فتأمل كيف ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب اللطيف في التعليم وكما سيكون له من أثر في نفس السامع.

وتتأكد الحاجة إلى الرفق والرحمة عند وقوع الخطأ غير المتعمد، لأن النفوس أحياناً قد يستثيرها الخطأ فتنسى التعامل معه بالرحمة والرفق، وتميل بقوة إلى الردع والتأديب، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا عطس رجل من القوم، فقلت رحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه،

مع أنه استثناء وليس القاعدة، وهو أمر مطلوب والنفوس تحتاج إليه، ولكن لابد أن يضاف لذلك الترغيب، من خلال الترغيب في نعيم الجنة وثوابها، وسعادة الدنيا لمن استقام على طاعة الله، وذكر محاسن الإسلام وأثر تطبيقه على الناس، وقد استخدم القرآن الكريم هذا المسلك.

الإقناع العقلي: الأصل أن يربى

الناس على التسليم للأوامر وللنواهي بالترك، لكن بعض النفوس أحيانا قد تكون شاردة تعيش حالة من التصميم حتى لو كانت على خطأ، ولا يوقظ هذه النفوس إلا شيء من الإقناع، بردها للجدادة، وتأكيد معاني الخير فيها.

- أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: (أدنه) فدنا منه قريبا قال: فجلس قال: (أتعبه لأملك؟) قال: لا والله جعلني

النبوي يتعامل مع هذه النفس بكل هذه الاعتبار، ومن ذلك الجمع بين الترغيب والتنفير والرجاء والخوف.

عن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط: قال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) قال: فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين.

ومن أحاديث الرجاء والترغيب والتنفير ما حدث به أبو ذر رضي الله عنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيت به وقد استيقظ فقال: (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق)، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر.

والمأمل في الواقع يلحظ أننا كثيرا ما نعني بالترهيب ونركز عليه

الورع عديم الديانة، لم ير أنه بحاجة لاستئذان بل كان يمارس ما يريد سرا، فأدرك صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخيّر فيه، فماذا كانت النتيجة: "فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء".

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال: (هل لك من إبل؟) قال نعم قال ما لونها؟ قال حمر، قال هل فيها من أورك؟ قال: نعم، قال: (فأنتي ذلك؟) قال: نزعه عرق قال: (فلعل ابنك نزعه عرق)، والملاحظ هنا في الإقناع النبوي الاستفادة من البيئة المحيطة، وكذا الاستفادة من البديهيّات التي يؤمن بها المحاور، وهذا في حد ذاته من مؤكّدات الإقناع.

استخدام الحوار والنقاش: وخير

مثال على ذلك صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمته للغنائم، فقد أعطى صلى الله عليه

الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال: (أتحبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتيك؟)، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم)، قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء".

إن هذا الشاب قد جاء والغريزة تتوقد في نفسه، مما يدفعه إلى أن يكسر حاجز الحياء، وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم علنا أمام أصحابه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم المعلم أن لديه جانبا لم يدركه فيه أصحابه فما هو؟ لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان قليل

لكنك امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الأنصار شعبا وواديا لسلك شعب الأنصار وواديهما، الأنصار شعار والناس دثار "الثوب الذي يكون فوق الشعار" اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، قال فبكى القوم حتى أخضبوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله وتفرقوا". وفي رواية: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض).

ففي هذا الموقف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الحوار معهم، فوجه لهم سؤالا وانتظر منهم الإجابة، بل حين لم يجيبوا لقنهم الإجابة قائلا: (ولو شئتم لقلتم ولصدقتم وصدقتم...).

إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب للأنصار صورة مؤثرة واستطاع بالحوار الهادف البناء أن يستأصل غضبهم ويزيل الشبهة من قلوبهم حتى طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل

وسلم المؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، فبلغه أنهم وجدوا في أنفسهم، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، وكان بينهم وبينه هذا الحوار الذي يرويه بن زيد رضي الله عنه فيقول: "لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: (يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟). كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أأمن، قال: (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) قال: كلما قال شيئا، قالوا: الله ورسوله أأمن، قال: (لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم... أترضون أن يذهب الناس بالشاء أي الشياه والأغنام والبعر وترجعون بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟) فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، لولا الهجرة

أو لأخيك أو للذئب).

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه على هذين الحديثين "باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره". وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد فنزعه فطرحه وقال: (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال: (كل يمينك) قال: لا أستطع، قال: (لا استطعت ما منعه إلا الكبر) قال: فما رفعها إلى فيه".

إلا أن ذلك لم يكن هديه الراتب صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن الرفق هو الهدى الراتب له صلى الله

سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الحكيمة في مخاطبة الأنصار.

الإغلاظ والعقوبة: وقد يغلظ صلى

الله عليه وسلم على من وقع في خطأ أو يعاقبه: فعن أبي مسعود الأنصاري قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال: (أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)؛ وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل رجل عن اللقطة فقال: (اعرف وكاءها أو قال وعاءها وعفاصها ثم عرفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فادها إليه) قال: فضالة الإبل؟ فغضب حتى اجمرت وجنتاه أو قال احمر وجهه فقال: (وما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر فذرهما حتى يلقاها ربها) قال: فضالة الغنم؟ قال: (لك

وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).

- وأحياناً يشني على صفة الشخص ويحثه على عمل بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك ما رواه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال

عليه وسلم، لكن حين يقتضي المقام الإغلاظ يغلظ صلى الله عليه وسلم.

8- استخدام التوجيه غير

المباشر: ويتمثل التوجيه غير المباشر في أمور منها:

- كونه صلى الله عليه وسلم

يقول: ما بال أقوام، دون أن يخصص أحد بعينه، ومن ذلك قوله في قصة بريرة، فعن عائشة رضي الله عنها فقالت: أتتها بريرة تسأل في كتابتها فقالت إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي فلما جاء رسول صلى الله عليه وسلم ذكرته ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (وابتاعها فأعتقها فإنما الولاء لمن أعتق)، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط).

وحديث أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لست بمجنون."

9- استثمار المواقف والفرص:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه يوماً وإذا بامرأة من السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ضمته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟)، قالوا: لا، قال: (والله لا يلقي حبيبه في النار).

فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صورة مجردة جافة.

إن المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يستثمر هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة، تستعصي على النسيان والمواقف المتنوعة.

قد يكون الموقف موقف حزن وخوف فيستخدم في الوعظ، كما في وعظه صلى الله عليه وسلم أصحابه

لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل) قال سالم: "فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً".

ج- وأحياناً يأمر أصحابه بما يريد قوله للرجل، عن أنس بن مالك أن رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أثر صفرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قلماً يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه فلما خرج قال (لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه).

د- وأحياناً يخاطب غيره وهو يسمع، عن سليمان بن صرد قال أستب رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس أحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي

عند القبر.

صبرت واحتسبت للقيت الله عز وجل ولا ذنبك لك).

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم مثل هذا الموقف لتقرير قضية مهمة لها شأنها وأثرها كما فعل حين دعائه للمريض بهذا الدعاء، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشي لك إلى صلاة). إنه يوصي المسلم بعظم مهمته وشأنه وعول دوره في الحياة، فهو بين أن يتقدم بعبادة خالصة لله، أو يساهم في نصرته دين الله والذب عنه.

وقد يكون الموقف ظاهرة كونية مجردة، لكنه صلى الله عليه وسلم يستثمره ليربطه بهذا المعنى، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر،

عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا على القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاث... ثم ذكر الحديث الطويل في وصف عذاب القبر وفتنته).

وقد يكون موقف مصيبة إذا أمر حل بالإنسان، فيستثمر في ربطه بالله تبارك وتعالى.

عن زيد بن أرقم قال أصابني رمد فعادني النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فلما برأت خرجت قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرأيت لو كانت عيناك لما بهما ما كنت صانعاً؟) قال: قلت: لو كانت عيناى لما بهما صبرت واحتسبت فقال: (لو كانت عيناك لما بهما ثم

فتخيل معي أخي القارئ موقف أبي هريرة وهو يسمع هذا الثناء، وهذه الشهادة من أستاذ الأساتذة، وشيخ المشايخ صلى الله عليه وسلم بحرصه على العلم، بل وتفوقه على الكثير من أقرانه وتصور كيف يكون هذا الشعور دافعا لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية.

وحين سأل أبي كعب: (أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟) فقال أبي: آية الكرسي، قال له صلى الله عليه وسلم: (ليهنك العلم أبا المنذر).

إن الأمر قد لا يعدو كلمة ثناء، أو عبارة تشجيع، تنقل الطالب مواقع ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد والنفس أيا كان شأنها تمل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز ويدفعها ثناء الناس المنضبط خطوات أكثر.

والتشجيع والثناء حث للآخرين، ودعوة غير مباشرة لهم لأن يسلكوا مسلك هذا الرجل الذي توجه الثناء له فتأمل كم في هذه الأحاديث من تشجيع

لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

وقد يكون الموقف مثيرا، يستثير العاطفة والمشاعر كما في حديث أنس السابق في قصة المرأة.

الثناء والتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي كريم، يراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقا، وأن يؤمن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف.

سأله أبو هريرة رضي الله عنه يوما: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما علمت من حرصك على الحديث).

تتطلب التربية الإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع، ما يجعلها في وقت وجهد أمرا عسيرا ومتعذرا.

ثم إن المترين والمتعلم، ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك، ولا على درجة واحدة من الحرص والرغبة.

وقد كان التشريع الذي نزل عند الحكيم الخبير، يرفع التدرج وتمارين الناس على قبول الشرائع وترويضهم عليها، حيث خوطب الناس ابتداء بالأهم فالأهم، فكان التأكيد أولا على تحقيق التوحيد، حتى إذا استقرت نفوسهم أمروا بالفرائض ثم سائر الشرائع تقول عائشة رضي الله عنها: "إنما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا..."

واهتمام ومزيد وعناية وانظر كم يبعث التشجيع في نفس المتعلم من حب للعلم، وكم يساعد في تسارع خطوات التربية نحو الأمام، وذلك على عكس ما يأتي به كثرة التأنيب والعتاب واللوم، أو السكوت عن الثناء عند كل نجاح وتفوق، والثناء والتشجيع قد يستفاد منه في تدعيم سلوك معين أو التوجيه إلى عمل مهم يحسن اكتسابه، ذلك أن "الاستحسان والتشجيع يبعث المتعلم على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس ويدعوه إلى طلب وحفظ المزيد من العلم وتحصيله".

التدرج ومراعاة الحال:

نرجع إلى المعنى اللغوي للتربية نجد أن معانيها النمو والزيادة، ومنه أيضا التدرج "فالتربية جهود تراكمية، يرفد بعضها، بعضها والزمن واضح في قولهم: تربي، وتنشأ وتثقف، فالتنشئة والتغذية والتثقيف لا تكون أبدا طفرة ومرة واحدة، وإنما تتم على مراحل متتالية..."، وذلك لأن للجوانب التي

"وفي الحديث بيان وجوب أن يخصص بالعلم الدقيق قوم فيهم الضبط وصحة الفهم، وأن لا يبذل لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخيص والاتكال لتقصير فهمه".

وروى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب معلقا قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

إن عملية التعليم والتربية ليست عملية استعراض فيه المربي أو المعلم معلوماته، إنما هي صياغة متكاملة تحتاج في أولها الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل.

وهكذا كانت طريقة الربانيين الذين امتدحهم الله فقال: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩، قال البخاري رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره".

ومما يدخل مراعاة حال المتعلم أو

وكذا كان المنهج النبوي في التربية والتعليم يقوم على التدرج ومراعاة الحال.

في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن قال: (إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله افترض... الحديث).

وإن من التدرج ومراعاة الحال في التربية والتعليم عدم تقديم ما حقه التأخير، وأن يخصص بالعلم أناسا دون غيرهم مراعاة للفهوم وتقدير المصالح؛ روى البخاري في صحيحه قال: "باب من خص بالعلم قوما دون كراهية أن لا يفهموا" وذكر تحته حديث أنس رضي الله عنه قال: "ذكر لي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة) قال: ألا أبشرك الناس؟ قال: (لا، إني أخاف أن يتكلوا).

الجرعة وهذا أحيانا قد يحدث شيئا
من التشوه التربوي ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ
شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٣.

إن ما سبق بيانه غيظ من فيض
التعاليم النبوية، وإن الخير كل الخير
في الأخذ بها، فإن في ذلك الفلاح في
الدنيا والنجاة يوم القيامة، والله أسأل
أن يتقبل هذا بالقبول الحسن عنده، إنه
ولي ذلك ومولاه والقادر عليه وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملاحظة: للموضوع هوامش.

المتربي إعطاء كل مرحلة ما يناسبها من
العلم والتربية "فإن لكل مرحلة عمرية
درجة من النضج، يصعب تجاوزها،
كما أن لها مشكلات لا يمكن حلها إلا
بنحو جزئي، ولذا فإن العجلة هي العدو
الأول للتربية، هناك جوانب عديدة في
شخصياتنا، لا ينضجها إلا الزمن".

وكان ابن سيرين يقول:

إنك إن كلفتني ما لم أطق

سأك ما سرك مني من خلق

إن بعض المربين قد يعتمد في
بعض المراحل العمرية إلى زيادة

